تعقيبات ...

للأستاذ عباس حسان خضر

أبكار الهموم وعونها — عثرتان — زواج أم كلثوم — آه من الأسعار .

أبكار الهموم وعونها :

كتب الأستاذ محمود محمد شاكر بعدد مضى من الرسالة[1] فى موضوع أبيات من شعر بعض الأعراب ، تحدث فيها الشاعر الأعرابى عن قصته مع أميمة (حواته) التى أنكرته إذ رأته « شاحباً مهزولا رثاً أسوأ حالا مما عهدته[2] » ، وكان قد آب من سفره الذى دفع فيه لتحقيق أحلامها ، وجعلت تسائله مساءلة المتجاهل المزدرى : من أى الناس أنت ، ومن تكون ؟ فإنى أراك فى حال لا تليق براعى إبل ، فضلا عن محب يطمع فى مثلى ! فقال لها — وقد تكشفت له حقيقة حواء — : إذا كان مطلبك وغاية نفسك رونق الجسم واكتناز اللحم والشحم فعليك براعى غنم يعيش فى خفض ورغد من لبنها وزبدها . . . إلى أن قال مكملا وصف هذا الراعى :

سمين الضواحى ، لم تؤرقه ، ليلةً
— وأنعم — أبكارُ الهموم وعُونُها[3]

وقف الأستاذ شاكر عند كلمة « أبكار الهموم وعونها » فخال فيها ما لا أراه يُخال ، إذ قال إن هذا الأعرابى « قد أراد أن يعلم (أميمته) الباغية أنها إذا كانت تؤرّ عليه امرأ غضاً ناضراً ناعماً لم تؤرقه هموم النفس ولم يضر به الكدح فى يوادى الأحلام والآلام والآمال ، فإنه غنى عنها ، وعن سائر نساء العالمين — وأن أمثالها لسن له بهمّ ، وأن له من حاجات نفسه وهمومها (أبكاراً) كأبكار النساء و (عوناً) كعونها » ، وقال فيما يريد بالأبكار : « فإن للنفس الشاعرة هموماً (أبكاراً) لم تمسسها يد ولا فكر ولا حلم » وقال فيما يقصد بالعون : « وللنفس أيضاً هموم (عون) قد أصاب الناس منها ما أصابوا ولكن بقيت منها للنفس الشاعرة بقية فاتنة بما فيها من دلال وكبرياء وقدرة على الامتناع عند الإمكان ونبل فى الخضوع والتسليم عند العجز » .

فهل لهذه الكلمة الفطرية « أبكار الهموم وعونها » قِبَلٌ بتحمل كل هذا ؟ وهل كانت نفس ذلك الأعرابى فى باديته وحياته الساذجة تنطوى حقاً على كل هذه الأحاسيس المزدحمة المعقدة . . . ؟

يخيل إلىّ أن الأستاذ محمود محمد شاكر قد تراءت له فى هذه الكلمة أحاسيسه هو ، فحالها أحاسيس الأعرابى ... وهى أمثل به منه ، فما أحسب الأعرابى يريد بأبكار الهموم وعونها أكثر من جديد الهموم وقديمها ، على أن استعمال « الأبكار » فى الجديد من الهم أدنى إلى المعنى الحقيق من استعمالها فى المختص منه ، وكذلك استعمال « العون » فى قديم الهم أليق من أخذها إلى مشتركه .

أما تلك الظلال التى يمد الأستاذ شاكر رواقها حول البيت فهى ظلال نفسه المترفعة الآنفة الساخرة العائشة على المثل والمعانى

وأما الشاعر البدوى فما يبغى بأميمته بديلا ، مهما تدللت أو بغت عليه ، فإن عاتبها أو غاضبها فإليها بعدُ هوى نفسه ، ولديها محط رحاله ، وما يليق به وهو ابن الحياة الفطرية الساذجة أن يدعها ويضرب فى بيداء المعانى ليتصيد منها أبكار الخيال وعونه

عثرتان :

ليس من دأبى تتبع سقطات الأقلام فى اللغة وقواعدها ، ولكن يهولنى أن يعثر قلم من الأقلام التى يستأنس بها ويتأثرها الناشئون ومن فى حكمهم من غير الدارسين . والذى نحن الآن بصدد التعقيب على جموح قلمه ، هو الأستاذ ميخائيل نعيمة ، وهو من أدباء المهجر الذين جروا فى ميدان الأدب العربى الحديث أشواطاً بعيدة ، ولكنهم أحياناً يصطدمون — فى عدْوهم — بأوضاع اللغة ، فلا يعبئون بها !

(١) الرسالة عدد ٦٩٦ .

(٢) من كلام الأستاذ شاكر ، وكذلك المصرع التالى :

(٣) الضواحى : ما برز من الإنسان كالمنكبين والكتفين ، يريد ممتلىء البدن من الراحة والدعة وسكون النفس . والأبكار : جمع بكر ، وهى المرأة لم تتزوج بعد . والعون : جمع عوان ، وهى المرأة كان لها قبل ذلك زوج . أما قوله : « وأنعم » فهى كلمة معترضة أراد بها أن قد طال على ذلك الراعى ما هو فيه من خفض ورغد وراحة ورفاهية حتى ربا وسمن وزاد ، فلم يشغله شىء يضنيه أو يأكل من بدنه .

كتب الأستاذ ميخائيل نعيمة في مجلة « الكتاب[1] » مقالا عنوانه « مهماز البقاء » جاء فيه : « فمثلما نجوع إلى أشياء وأشياء كذلك تجوع إلينا أشياء وأشياء ، فنحن أبداً جائعون ومجيعون ، وآكلون ومأكولون » .

فهو يصرّح من الفعل « جاع » اللازم اسم المفعول دون صحبة ظرف أو جار ومجرور ، على أن الصياغة نفسها غير صحيحة إذ جعل واو « مجوع » ياء ، ولو تروى قليلا لقال : « فنحن جائعون ومجوع إلينا » .

تلك واحدة ، والثانية في قوله بنفس المقال : « لكم نخاطب الأموات ويخاطبونا » فقد حذف نون الرفع من الفعل المضارع المتصل بواو الجماعة المجرد من الناصب والجازم فقال : « ويخاطبونا » والصواب أن يقول « ويخاطبوننا » فهذا هو الاستعمال القياسي للأفعال الخمسة الذي يجب أن تجرى عليه الألسنة والأقلام ، دون التفات إلى الشاذ ، مثل :

أبيت أسرى وتبيتي تدلكي وجهك بالعنبر والمسك الذكي

زواج أم كلثوم :

نشرت الصحف أخيراً نبأ زواج أم كلثوم ، وقد فوجىء الناس بهذا النبأ ، وقابلوه بشيء من القلق وشيء من الارتياح ! وكأنه قد استقر لديهم أن أم كلثوم - بانقطاعها لفن الغناء - قد خلصت لهم مفردة طليقة ، فما ينبغي أن ينافسهم فيها منافس يستأثر بها . . .

والذي دعا إلى الارتياح أن زوجها الأستاذ محمود الشريف من رجال الفن الموسيقي ، فيرجى ألا يكون حائلا بينها وبين المستمعين الذين تنقلهم — بصوتها الساحر — من أماكنهم إلى حيث تحلق بفنها الرفيع . . .

وليت شعري هل كان أبو الفتح كشاجم يطوى الزمن فيصف « بحة أم كلثوم » إذ قال :

آه من بحة بغير انقطاع لفتاة موصولة الإيقاع
أتعبت صوتها وقد يجتنى من تعب الصوت راحة الأسماع

وإذ قال :

أشتهي في الغناء بحة حلق ناعم الصوت متعب مكدود
كأنين المحب أضعفه الشو ق فشاهى به أنين العود
لا أحب الأوتار تعمل كما لا أشتهي الضرب لازماً للعود

ولعل أم كلثوم تواصل حفلاتها الشهرية التي تذيعها محطة الإذاعة ، فالناس يتجاوزون للمحطة من أجلها عن كثير . . .

وبعد فإن من حق أم كلثوم التي تبعث إلى قلوبنا البهجة والغبطة — أن نفرح لفرحها ونتمنى لها أطيب التمنيات .

آه من الأسعار :

قال لي صاحبي ، وقد لمحت على وجهه ما دلني على أنه ظفر بشيء عزيز المنال : أتحب أن ترى شيئاً من « السماعيات » التي تسمع وتقرأ عنها في هذه الأيام ؟ ودس يده في جيبه بعناية ، فأخرج قلماً ثميناً من (ماركه) مشهورة . فتناولته من يده ، وأجريته على القرطاس ، فجرى ليناً ، يكاد يجر اليد إلى الكتابة جرًّا ... بل يكاد يمتح من القريحة متحاً . . . فرددت بصري بين وجه صاحبي الظافر . . . وبين القلم الذي يقول لي : هيت لك ! ثم رجع البصر إليّ خاسئاً وهو حسير . . وأعجلني صاحبي — سامحه الله — في رد قلمه ، وهو مغتبط بالحديث عنه قائلا :

— أتدري ما ثمن هذا القلم ؟

— أعلم أنه يباع في السوق بنحو خمسة عشر جنيهاً ، فمن لك به ... ؟

— أحضره فلان من أمريكا بمائتين وخمسين قرشاً !

عجباً ! قلم يصنعه الصانع في أمريكا ، يشتري مواده ، ويحليه بالذهب ، ويبذل فيه بارع فنه ، ثم يشتريه التاجر هناك ليبيعه بربح ، فيكون الثمن بعد كل هذا مائتين وخمسين قرشاً ، فإذا ما جاء إلى مصر بلد العجائب صار ثمنه خمسة عشر جنيها ... ! يا ضيعة المنتج والمستهلك بين أطفار التاجر !

ولقد كنا نتلمس الأسباب لغلاء المستورد من الخارج إلى مصر ، ونحار لما يدعو إلى غلاء لحمها وسمنها وفولها وعدسها وبصلها ... فاذا الحيرة تتردد بين هذا وذاك ، وتجول هنا وهناك ، كما يجول الكلب الشرطي ، وتتشمم كما يتشمم ، فتكاد تمسك بالتاجر ، وأنى لها أن تنال منه وقد انتفخ وبدا «سمين الضواحي» فلا تملك إلا أن تردد ما قال شوقي في غلاء ما بعد الحرب التي قبل الماضية :

(١) عدد ديسمبر الحالي